مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

الطباعة الفنية بين التقنية والتاريخ:
مقارنة بين الحفر الغائر والطباعة بالشاشة الحريرية(*)

مريم بنت محمد العمري
أستاذ الطباعة الفنية بقسم الفنون البصرية
كلية التصاميم والفنون بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
الرياض- المملكة العربية السعودية
drmaryam30@hotmail.com

حنان إبراهيم الريس
أستاذ الطباعة المساعد بقسم الفنون البصرية
كلية التصاميم والفنون بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
الرياض- المملكة العربية السعودية
rayes8800@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 8/4/2025 تاريخ قبوله للنشر 14/5/2026
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الطباعة الفنية بين التقنية والتاريخ:
مقارنة بين الحفر الغائر والطباعة بالشاشة الحريرية

مريم بنت محمد العمري
أستاذ الطباعة الفنية بقسم الفنون البصرية
كلية التصاميم والفنون بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
الرياض- المملكة العربية السعودية
حنان إبراهيم الريس
أستاذ الطباعة المساعد بقسم الفنون البصرية
كلية التصاميم والفنون بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
الرياض- المملكة العربية السعودية

الملخص

شـــهدت الطباعة الفنية تحولات جوهرية عبر مســـارها التاريخي، وارتبطت بتطور التقنيات والمواد، مما انعكس على طبيعة الإنتاج الفني ووظائفه الجمالية والثقافية، يهدف هذا البحث إلى تحليل هذه التحولات من خلال دراســة مقارنة بين تقنيتي الحفر(Etching) والطباعة بالشــاشــة الحريرية(Screen Printing)، بوصــفهما نموذجين يمثلان مرحلتين مختلفتين في تطور الطباعة الفنية.

واعتمد البحث على المنهج الوصـــفي التحليلي المقارن، عن طريق تتبع النشـــأة التاريخية لكل تقنية، وتحليل خصائصها التقنية، ومقارنة نتائجها الجمالية، إضافة إلى استكشاف أبعادها الثقافية، وقد أظهرت النتائج أن تقنية الحفر ترتبط بالدقة الخطية والمهارة الفردية، وتعكس توجهًا فنيًا قائمًا على التفرد، في حين تتميز الطباعة بالشــاشــة الحريرية بالاعتماد على اللون والتكرار، وترتبط بالإنتاج الجماهيري والثقافة البصرية المعاصرة.

كما توصـل البحث إلى أن التحولات التقنية في الطباعة الفنية أسـهمت في إعادة تشـكيل مفهوم العمل الفني خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الأصالة وإمكانية الاستنساخ، وتكمن أهمية البحث في تقديم إطار تحليلي يربط بين التقنية والتاريخ، ويوضـح دور الوسـيط الطباعي في تشـكيل المعنى البصـري، مما يسـهم في إثراء الدراسـات النظرية والتطبيقية في مجال الطباعة الفنية.

الكلمات المفتاحية: الطباعة الفنية، الحفر(Etching)، الطباعة بالشـاشـة الحريرية، التقنيات الطباعية، التحليل المقارن، التحولات التقنية، الثقافة البصرية.

Printmaking Between Technique and History: A Comparative Study of Etching and Screen Printing

Maryam Mohammed Alamri
Professor of Printmaking, Department of Visual Arts. College of Art and Design. Princess Norah Bent Abdulrahman University. Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
Hanan Ebrahim alrayes
Assistant Professor of Printmaking, Department of Visual Arts. College of Art and Design. Princess Norah Bent Abdulrahman University. Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

Printmaking has undergone significant transformations throughout its historical development, closely linked to the evolution of techniques and materials, which in turn has influenced the aesthetic and cultural functions of artistic production. This study aims to examine these transformations through a comparative analysis of Etching and Screen Printing as two distinct techniques representing different stages in the development of printmaking.

The research adopts a descriptive-analytical comparative methodology, focusing on the historical origins of each technique, their technical characteristics, and their resulting visual qualities, as well as their cultural implications. The findings indicate that Etching is associated with linear precision and individual craftsmanship, reflecting a unique and expressive artistic approach. In contrast, Screen Printing emphasizes color, repetition, and mass production, aligning with contemporary visual culture and popular art movements.

Furthermore, the study reveals that technological shifts in printmaking have redefined the concept of the artwork, particularly in relation to originality and reproducibility. The significance of this research lies in providing a comprehensive analytical framework that connects technique and history, highlighting the role of printmaking as a visual medium in shaping artistic meaning and contributing to both theoretical and practical studies in the field.

Keywords: Printmaking. Etching. Screen Printing. Printmaking Techniques. Comparative Analysis. Technical Transformation. Visual Culture.

مقدمة البحث:

شـــهدت الطباعة الفنية (Printmaking) تطورًا ملحوظًا عبر مســـارها التاريخي الطويل، حيث ارتبطت نشأتها الأولى بالحاجة إلى استنساخ الصور والنصوص، قبل أن تتحول تدريجيًا إلى وسيط فني مستقل يحمل أبعادًا جمالية وفكرية معقدة، وقد أسـهمت التحولات التقنية في تشـكيل هذا المسـار، إذ لم تكن الطباعة مجرد أداة إنتاج، بل منظومة بصـرية وثقافية تعكس علاقة الفنان بالوسـيط والمواد، وتحدد طبيعة التفاعل بين العمل الفني والمتلقي (Ivins, 1953).

وقد ارتبط هذا التطور التاريخي ارتباطًا وثيقًا بتطور وســائل نقل المعرفة وانتشــارها، حيث أســهمت تقنيات الطباعة منذ نشـأتها في إحداث تحولات جوهرية في تداول المعلومات، مما جعلها من أهم الأدوات التي ساهمت في تطور المجتمعات الإنسانية (Pizzeghello & Sarka, 2024).

كما يؤكد تاريخ تقنيات الطباعة أن تطور الأساليب والمواد لم يكن منفصلًا عن النتائج البصرية، بل كان له تأثير مباشـر في تشـكيل الخصـائص الجمالية للعمل الفني،حيث ترتبط التقنية ارتباطًا وثيقًا بالأسـلوب (Stijnman, 2012).

وتُعد تقنيات الطباعة الفنية من أكثر المجالات التي يظهر فيها التداخل بين الجانب الحرفي والتعبيري، حيث تؤثر خصائص كل تقنية بشكل مباشر في بناء الصورة البصرية، ففي تقنيات الطباعة الغائرة(Intaglio) ، وعلى رأســـها الحفر(Etching)، يعتمد الفنان على الحفر الحمضـــي لســـطح المعدن، مما ينتج عنه خطوط دقيقة وتدرجات لونية قائمة على العمق والملمس، وهو ما يمنح العمل طابعًا تعبيريًا يرتبط بالدقة والتحكم التقني العالي (Griffiths, 1996)، وقد ارتبطت هذه التقنية تاريخيًا بفناني عصـــر النهضـــة وما بعده، حيث اســـتُخدمت كوسيط يعكس المهارة الفردية والبعد التأملي في العمل الفني(Stijnman, 2012).

إذ تقوم تقنيات الطباعة الغائرة على مبدأ حفر الســـطح الطباعي، ثم ملء الأخاديد بالحبر ونقله إلى الورق، وهي عملية تجمع بين مرحلتين أســاســيتين: إعداد اللوح الطباعي وطباعته، مما يســهم في تحديد الشــكل النهائي للعمل الفني (Stijnman, 2012)، وقد ارتبطت هذه التقنية تاريخيًا بفناني عصـــر النهضـــة وما بعده، حيث استُخدمت كوسيط يعكس المهارة الفردية والبعد التأملي في العمل الفني.

في المقابل، تمثل الطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing) تحولًا نوعيًا في مسار الطباعة الفنية، حيث ظهرت في سياق صناعي وتجاري خلال القرن العشرين، قبل أن تتبناها الحركات الفنية الحديثة، خصوصًا فن البوب(Pop Art) لتصـــبح أداة تعبيرية قـائمـة على التكرار، واللون المســـطح، والإنتـاج المتعـدد (Tallman, 1996).

وتعود أصـول هذه التقنية إلى تقنيات الاسـتنسـل التي تطورت تدريجيًا، قبل أن تتحول إلى عملية منظمة مع ظهور تطبيقاتها الصـــناعية وتســـجيل براءات الاختراع، مما أســـهم في انتشـــارها على نطاق واســـع (Lengwiler,2013)، وتعتمد هذه التقنية على مبدأ تمرير الحبر عبر ســـطح شـــبكي، مما يتيح إنتاج

مســـاحات لونية واضـــحة وقابلة للتكرار، وهو ما يعكس تحولًا في مفهوم العمل الفني من التفرد إلى القابلية للاستنساخ (Grabowski & Fick, 2012).

ويعكس هذا التباين بين الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية تحولًا أعمق في بنية الطباعة الفنية، حيث انتقلت من كونها ممارسة فنية تعتمد على المهارة اليدوية الفردية إلى وسيط بصري يرتبط بالثقافة الجماهيرية والإنتاج الصناعي.

وقد أشـار Walter Benjamin إلى أن تطور وسـائل الاسـتنسـاخ الميكانيكي أدى إلى إعادة تشـكيل مفهوم "الأصـــالة" في العمل الفني، حيث فقد العمل الفني جزءًا من "هالته(Aura)" نتيجة قابليته للتكرار والانتشار(Benjamin, 1968) .

ومن هذا المنطلق، لا تقتصر الفروق بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية على الجوانب التقنية فحسب، بل تمتد لتشمل:

1. البنية المادية للعمل الفني.
2. اللغة البصرية المستخدمة.
3. طبيعة التلقي والتداول.
4. الدور الثقافي والاجتماعي للطباعة.

ورغم ثراء الأدبيات التي تناولت تقنيات الطباعة الفنية كلٌ على حدة، إلا أن معظمها يركز على الجوانب التقنية أو التاريخية بشكل منفصل، دون تقديم معالجة تحليلية مقارنة تكشف عن التحولات العميقة التي أحدثتها هذه التقنيات في مفهوم الطباعة الفنية ككل.

وهو ما تؤكده الدراسات التي تربط بين الخصائص التقنية والنتائج الجمالية في الطباعة الفنية Ross et al., (Grabowski & Fick, 2017؛2018) وعليه، تتحدد مشـكلة البحث في الحاجة إلى دراسـة مقارنة تجمع بين البعدين التاريخي والتقني، وتحلل العلاقة بين الوسـيط الطباعي والتحول في القيم الجمالية والثقافية، وذلك من خلال المقارنة بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية بوصفهما نموذجين يمثلان مرحلتين مختلفتين في تطور الطباعة الفنية.

تساؤلات البحث:

ينطلق هذا البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

كيف تعكس المقارنة بين تقنيتي الحفر(Etching) والطباعة بالشـــاشـــة الحريرية (Screen Printing) التحولات التاريخية والتقنية في الطباعة الفنية، وما أثر ذلك في تشكيل القيم الجمالية والثقافية للعمل الفني؟

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما الخصائص التاريخية التي تميز نشأة كل من تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية؟
2. ما أوجه الاختلاف والتشابه بين التقنيتين من الناحية التقنية؟
3. كيف تؤثر خصائص كل تقنية في بناء الصورة البصرية للعمل الفني؟
4. ما العلاقة بين التقنية والتحولات الثقافية في الطباعة الفني؟
5. كيف انعكست هذه التحولات على مفهوم العمل الفني بين التفرد والتكرار؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تتبع النشأة التاريخية لكل من تقنية الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية وتحليل سياق ظهورهما.
2. تحليل الخصائص التقنية لكل تقنية من حيث الأدوات، المواد، وآليات التنفيذ.
3. المقارنة بين السمات الجمالية الناتجة عن كل تقنية، من حيث الخط، الملمس، اللون، والمساحة.
4. استكشاف البعد الثقافي والاجتماعي المرتبط بكل تقنية، وعلاقته بتحولات مفهوم العمل الفني.
5. بناء إطار تحليلي يوضح دور التقنية في تشكيل المعنى البصري في الطباعة الفنية .

أهمية البحث:

تنبثق أهمية هذه البحث من:

1. يسهم البحث في إثراء الأدبيات النظرية في مجال الطباعة الفنية من خلال تقديم تحليل مقارن بين تقنيتين تنتميان إلى مرحلتين تاريخيتين مختلفتين، مما يساعد في فهم تطور الوسيط الطباعي ضمن سياقه التاريخي.
2. يوضح البحث العلاقة بين التقنية والنتيجة البصرية، ويبرز أثر خصائص كل تقنية في تشكيل اللغة التشكيلية للعمل الفني.
3. يسلط البحث الضوء على التحول في دور الطباعة الفنية من ممارسة فردية إلى وسيط بصري مرتبط بالثقافة الجماهيرية.
4. يسهم البحث في دعم الممارسات الفنية والتعليمية في مجال الطباعة، من خلال تقديم نموذج تحليلي يساعد في اختيار التقنية المناسبة وفقًا للأهداف التعبيرية.

حدود البحث:

اقتصر هذا البحث على:

الحدود الموضوعية: يركز البحث على دراسة مقارنة بين تقنيتي الحفر(Etching)، والطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing)من حيث الجوانب التاريخية والتقنية والجمالية .

الحدود الزمنية: يتناول البحث نشأة الحفر منذ القرن السادس عشر، وتطور الطباعة بالشاشة الحريرية خلال القرن العشرين

الحدود المكانية: يركز البحث على السياق الغربي لتطور التقنيتين، باعتباره الإطار التاريخي لنشأتهما وتطورهما.

الحدود المنهجية: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

مصطلحات البحث: ورد في هذا البحث عدد من المصطلحات يمكن تعريفها كما يلي:

الطباعة الفنية(Printmaking):

تُعرف الطباعة الفنية بأنها عملية إنتاج الصور الفنية من خلال نقل التصميم من سطح مُعدّ مسبقًا إلى وسيط آخر، غالبًا الورق، باستخدام تقنيات ومواد متعددة، وتُعد الطباعة الفنية وسيطًا يجمع بين الجوانب

التقنية والجمالية، حيث تعتمد على إنتاج نسخ متعددة تحمل خصائص بصرية وفنية موحدة (Griffiths, 1996, 1).

التعريف الإجرائي:

ويقصد بالطباعة الفنية في هذا البحث مجموعة العمليات الطباعية المستخدمة لإنتاج الأعمال الفنية، مع التركيز على تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية بوصفهما نموذجين للتحولات التقنية والجمالية في الطباعة.

الحفر(Etching):

الحفر هو إحدى تقنيات الطباعة الغائرة، ويعتمد على استخدام الأحماض لحفر الخطوط على سطح معدني مغطى بطبقة عازلة، ثم تعبئة الأخاديد بالحبر ونقل الصورة إلى الورق بالضغط(Stijnman, 2012, 45).

التعريف الإجرائي:

ويقصد بالحفر في هذا البحث التقنية الطباعية الغائرة التي تعتمد على الخطوط المحفورة كعنصر أساسي في بناء الصورة البصرية.

الطباعة بالشاشة الحريرية(Screen Printing):

تُعرف الطباعة بالشاشة الحريرية بأنها تقنية طباعية تعتمد على تمرير الحبر عبر سطح شبكي (Screen) إلى السطح المراد طباعته، مع حجب الأجزاء غير المرغوبة باستخدام قوالب أو مواد عازلة (Grabowski & Fick, 2017, 118).

التعريف الإجرائي:

ويقصد بالطباعة بالشاشة الحريرية في هذا البحث التقنية الطباعية السطحية التي تعتمد على اللون والتكرار والإنتاج المتعدد في بناء الصورة الفنية.

التحليل المقارن(Comparative Analysis):

التحليل المقارن هو منهج بحثي يقوم على دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر بهدف الكشف عن العلاقات البنيوية والفكرية بينهما(Elkins, 2012, 34).

التعريف الإجرائي:

ويقصد بالتحليل المقارن في هذا البحث دراسة الفروق والتقاطعات بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية من حيث الجوانب التقنية والجمالية والثقافية.

الثقافة البصرية (Visual Culture):

تشير الثقافة البصرية إلى دراسة الصور والوسائط البصرية بوصفها ممارسات ثقافية تؤثر في تشكيل الإدراك والمعنى داخل المجتمع(Mirzoeff, 2015, 11).

التعريف الإجرائي:

ويقصد بالثقافة البصرية في هذا البحث الأبعاد الثقافية والجمالية التي تعكسها تقنيات الطباعة الفنية وعلاقتها بطرق إنتاج الصورة وتلقيها.

الدراسات السابقة:

يمكن تصنيف الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الطباعة الفنية إلى عدة محاور رئيسة، تناولت كل منها جانبًا من جوانب التقنية أو التاريخ أو البعد الثقافي، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: دراسات تناولت الطباعة الفنية من منظور تقني وتاريخي عام

تناولت عدد من الدراسات الطباعة الفنية بوصفها منظومة تقنية وتاريخية متكاملة، حيث قدّم Griffiths (1996)عرضًا شاملًا لتطور تقنيات الطباعة منذ نشأتها، موضحًا أن كل تقنية طباعية ترتبط ببنية مادية محددة تؤثر في طبيعة الصورة الناتجة. كما أشار Ross et al. (2018) إلى أن الاختلاف في أدوات التنفيذ، سواء من حيث السطح الطباعي أو آلية نقل الحبر، يؤدي إلى تنوع في الخصائص البصرية بين التقنيات.

وفي السياق نفسه، أكدت الدراسات أن التقنيات الطباعية لا يمكن فصلها عن إمكاناتها التعبيرية، حيث تسهم خصائص المواد وأدوات التنفيذ في تشكيل النتائج الجمالية للعمل الفني Grabowski & Fick, (Ross et al., 2018؛2017). كما أوضح Grabowski and Fick (2012) أن فهم الفروق التقنية بين أنواع الطباعة يُعد أساسًا لتحليل العمل الفني.

وتتفق هذه الدراسات في التأكيد على أن التقنية عنصر بنيوي في الطباعة الفنية، وليست مجرد وسيلة تنفيذ، إلا أنها تختلف في مستوى التحليل، حيث ركزت بعض الدراسات على الوصف التقني، بينما اتجهت أخرى إلى الربط بين التقنية والتعبير الفني، ومع ذلك، يلاحظ أن معظم هذه الدراسات تناولت التقنيات بشكل منفصل دون تقديم معالجة مقارنة معمقة بينها.

ثانيًا: دراسات تناولت تقنية الحفر(Etching)

اهتمت مجموعة من الدراسات بتحليل تقنية الحفر بوصفها أحد أقدم تقنيات الطباعة الغائرة، حيث تناول Stijnman (2012)التطور التاريخي لهذه التقنية منذ القرن الخامس عشر، موضحًا التحولات التي طرأت على أساليب الحفر ومواد التنفيذ، ودورها في تطور الطباعة الأوروبية. كما بيّن Griffiths (1996) أن الحفر يعتمد على مبدأ الحفر الحمضي على الأسطح المعدنية، مما يسمح بإنتاج خطوط دقيقة وتفاصيل معقدة.

من جهة أخرى، أشار Ivins (1953) إلى أن الحفر لم يكن مجرد تقنية فنية، بل وسيلة لنقل المعرفة البصرية، حيث أسهم في توثيق الصور ونشرها قبل ظهور وسائل الطباعة الحديثة. كما أوضح Hayter (1962)أن تقنيات الحفر تمتاز بإمكانية تحقيق تنوع في الخطوط والتدرجات، مما يمنح الفنان قدرة عالية على التعبير.

وتتفق هذه الدراسات في اعتبار الحفر تقنية قائمة على الدقة والمهارة الفردية، وترتبط بالتقليد الفني الكلاسيكي، إلا أنها تختلف في تفسير دورها، حيث ركزت بعض الدراسات على الجانب التاريخي والتقني، في حين وسعت دراسات أخرى نطاق التحليل ليشمل البعد التعبيري والثقافي. ومع ذلك، تظل هذه الدراسات محدودة في ربطها بين الحفر والتقنيات الحديثة ضمن إطار مقارن.

ثالثًا: دراسات تناولت الطباعة بالشاشة الحريرية:

في المقابل، ركزت دراسات أخرى على الطباعة بالشاشة الحريرية بوصفها تقنية حديثة نسبيًا، حيث أوضحت Tallman (1996) أن هذه التقنية ارتبطت بتحولات الفن المعاصر، خاصة في سياق فن البوب، حيث أصبحت وسيلة لإنتاج صور متعددة تعتمد على التكرار واللون المسطح، كما أشار Grabowski and Fick (2012) إلى أن الطباعة بالشاشة الحريرية تعتمد على تمرير الحبر عبر سطح شبكي، مما يسمح بإنتاج مساحات لونية واضحة وقابلة للتكرار.

كما تناول Noyce (2006) الطباعة المعاصرة، مؤكدًا أن الشاشة الحريرية أسهمت في نقل الطباعة من نطاق الحرفة إلى نطاق الإنتاج الجماهيري، مما أدى إلى تغير في طبيعة العمل الفني ووظيفته، وتدعم هذه الرؤية ما أشار إليه Andy Warhol من خلال توظيف هذه التقنية في إنتاج أعمال قائمة على التكرار والصورة الجماهيرية.

وتتفق هذه الدراسات في ربط الشاشة الحريرية بالثقافة البصرية الحديثة، إلا أنها تختلف في تقييم هذا التحول، حيث ترى بعض الدراسات أنه يعكس تبسيطًا بصريًا، بينما تعتبره أخرى تحولًا مفاهيميًا في طبيعة الفن، كما أن هذه الدراسات غالبًا ما تناولت التقنية في سياقها المعاصر دون مقارنتها بالتقنيات التقليدية.

رابعًا: دراسات تناولت الطباعة من منظور ثقافي وفلسفي:

تناولت بعض الدراسات الطباعة الفنية من منظور أوسع يتجاوز الجانب التقني، حيث أشار Ivins (1953) إلى أن الطباعة أسهمت في تشكيل الثقافة البصرية من خلال نشر الصور وإتاحتها على نطاق واسع، كما قدم Walter Benjamin (1968) تحليلًا فلسفيًا لتأثير الاستنساخ الميكانيكي في العمل الفني، موضحًا أن قابلية العمل للتكرار تؤدي إلى فقدان "هالته" المرتبطة بالأصالة.

وتتفق هذه الدراسات في التأكيد على أن الطباعة الفنية ليست مجرد ممارسة تقنية، بل وسيط ثقافي يعكس تحولات المجتمع، إلا أنها تختلف في زاوية المعالجة، حيث ركزت بعض الدراسات على الجانب الفلسفي، بينما تناولت أخرى البعد الاجتماعي والثقافي، ومع ذلك، فإن هذه الدراسات لم تربط بشكل مباشر بين التحولات التقنية والتغير في القيم الجمالية ضمن إطار مقارن واضح.

يتضح من العرض السابق أن الدراسات السابقة قد تناولت تقنيات الطباعة الفنية من زوايا متعددة، شملت الجوانب التقنية، والتاريخية، والجمالية، والثقافية. إلا أن معظم هذه الدراسات ركزت على تحليل كل تقنية بشكل منفصل، دون تقديم دراسة مقارنة تكشف عن التحولات بين التقنيات المختلفة.

كما يلاحظ أن هناك فجوة بحثية تتمثل في غياب دراسات تجمع بين:

1. التحليل التاريخي.
2. والتحليل التقني.
3. والتحليل الجمالي والثقافي.

ضمن إطار مقارن يوضح العلاقة بين هذه الأبعاد.

ومن هنا تأتي أهمية البحث الحالي، الذي يسعى إلى سد هذه الفجوة من خلال تقديم دراسة مقارنة بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية، بوصفهما نموذجين يعكسان مرحلتين مختلفتين في تطور الطباعة الفنية، مما يسهم في فهم أعمق للتحولات التي شهدها هذا الوسيط الفني.

الإطار النظري:

أولًا: مفهوم الطباعة الفنية وتصنيف تقنياتها:

تُعد الطباعة الفنية (Printmaking) أحد أهم مجالات الفنون البصرية التي تجمع بين البعد التقني والتعبيري، حيث تقوم على نقل الصورة من سطح مُعدّ مسبقًا إلى وسيط آخر، غالبًا الورق، باستخدام تقنيات متعددة تختلف في طبيعتها ونتائجها البصرية. ولا تقتصر الطباعة الفنية على كونها وسيلة للاستنساخ، بل تُعد وسيطًا إبداعيًا قائمًا بذاته، يُسهم في تشكيل المعنى البصري من خلال خصائصه التقنية(Ivins, 1953, 2) .

حيث تُعد خاصية إنتاج نسخ متعددة من العمل الفني من أبرز السمات التي تميز الطباعة الفنية، حيث تعتمد على وجود قالب طباعي يُستخدم لنقل الصورة، مما يتيح تكرارها مع الحفاظ على خصائصها البصرية الأساسية، وترتبط الطباعة الفنية بإمكانية النقل وسهولة التوزيع، وهو ما أسهم في انتشارها بوصفها وسيطًا بصريًا قادرًا على الوصول إلى جمهور واسع خارج نطاق العرض الفني التقليدي (Sabour, 2021).

وقد صنّف الباحثتان تقنيات الطباعة الفنية إلى أربعة أنماط رئيسة، هي:

1. الطباعة البارزة (Relief Printing) .
2. الطباعة الغائرة (Intaglio Printing) .
3. الطباعة المستوية (Planographic Printing) .
4. الطباعة بالشاشة (Stencil/Screen Printing) .

ويعتمد هذا التصنيف على العلاقة بين السطح الطباعي والحبر، حيث يحدد موقع الحبر بالنسبة للسطح (بارز، غائر، أو مستوٍ) طبيعة الصورة المطبوعة وخصائصها البصرية(Griffiths, 1996, 10).

وقد ارتبط هذا التصنيف تاريخيًا بتطور تقنيات الطباعة، حيث بدأت المحاولات الأولى لإعادة إنتاج الصور باستخدام وسائل بدائية مثل الأختام والقوالب، وهو ما يمثل الأساس المبكر لتقسيم الأساليب الطباعية وفق طبيعة السطح المستخدم (Pizzeghello & Sarka, 2024).

وتؤكد الدراسات أن هذا التصنيف لا يعكس فقط اختلافًا تقنيًا، بل يعكس أيضًا اختلافًا في الرؤية الفنية، إذ ترتبط كل تقنية بمنطق بصري خاص يؤثر في كيفية بناء الصورة وتلقيها (Ross et al., 2018, 15).

ثانيًا: تقنية الحفر (Etching) ضمن الطباعة الغائرة:

تُعد تقنية الحفر (Etching) من أبرز تقنيات الطباعة الغائرة، وقد ظهرت في أوروبا خلال القرن السادس عشر، حيث استُخدمت في البداية في تزيين الأسلحة المعدنية، قبل أن تتطور لتصبح وسيلة فنية مستقلة (Stijnman, 2012, 45).

وقد ارتبط ظهور الحفر الغائر بتطور الأدوات المعدنية وتقنيات النقش، حيث أسهمت هذه العوامل في انتقاله من الاستخدامات الحرفية إلى المجال الفني، خاصة مع توفر الورق وإمكانية إنتاج نسخ متعددة من العمل الفني (Stijnman, 2012).

وتعتمد هذه التقنية على تغطية سطح معدني (غالبًا النحاس أو الزنك) بطبقة عازلة، ثم يقوم الفنان برسم التصميم على هذه الطبقة، ليتم بعد ذلك تعريض اللوح لحمض يقوم بحفر الخطوط المكشوفة، وبعد تنظيف اللوح، يُملأ بالحبر، ويُمسح السطح، ليبقى الحبر داخل الخطوط الغائرة، ثم يُنقل إلى الورق باستخدام الضغط (Griffiths, 1996, 52). وتُعد هذه العملية من السمات الأساسية للطباعة الغائرة والتي تمنحها خصوصية تقنية تميزها عن بقية أنواع الطباعة.

وتُنتج هذه العملية خصائص بصرية مميزة، أهمها:

1. دقة الخطوط.
2. عمق التدرجات.
3. ثراء الملمس.

وقد أشار Hayter (1962, 18) إلى أن الحفر يتيح للفنان درجة عالية من التحكم في الخطوط والتدرجات، مما يجعله وسيطًا تعبيريًا يرتبط بالتحليل والتأمل، وقد أسهمت هذه الخصائص في ترسيخ مكانة الحفر كوسيط بصري دقيق، يُستخدم في توثيق الصور ونقلها، خاصة في الفترات التي سبقت ظهور وسائل التصوير الحديثة(Stijnman, 2012).

ومن الناحية الجمالية، ترتبط هذه التقنية بالبعد الفردي للعمل الفني، حيث تعكس أثر يد الفنان بشكل مباشر، وهو ما يعزز مفهوم الأصالة والتفرد في العمل الفني.

ثالثًا: الطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing) كوسيط معاصر:

تُعد الطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing) من التقنيات الحديثة نسبيًا، حيث ارتبطت في بداياتها بالتطبيقات الصناعية والتجارية، قبل أن تنتقل إلى المجال الفني خلال القرن العشرين، خاصة مع ظهور الحركات الفنية المعاصرة(Tallman, 1996, 78).

وقد تطورت هذه التقنية تاريخيًا من تقنيات الاستنسل، حيث شهدت بداياتها تحولات تدريجية حتى أصبحت عملية منظمة مع تسجيل براءات الاختراع، وظهور تطبيقاتها الصناعية، مما أسهم في انتشارها على نطاق واسع (Lengwiler, 2013).

وتعتمد هذه التقنية على تمرير الحبر من خلال سطح شبكي (Screen) إلى الورق أو القماش، باستخدام أداة ضغط(Squeegee) ، مع حجب المناطق غير المراد طباعتها باستخدام قوالب أو مواد عازلة، ويتيح هذا الأسلوب إنتاج مساحات لونية واضحة ومتجانسة، مع إمكانية تكرار الصورة بسهولة (Grabowski & Fick, 2012, 112).

وتتميز هذه التقنية بعدة خصائص:

1. الاعتماد على اللون والمساحات المسطحة.
2. إمكانية التكرار والإنتاج المتعدد.
3. وضوح التكوين البصري.

وقد ارتبطت هذه التقنية بشكل وثيق بحركات الفن المعاصر، خاصة فن البوب، حيث استخدمها Andy Warholلإنتاج أعمال تعتمد على التكرار والصورة الجماهيرية. وتشير (Tallman,1996, 102) إلى أن هذه التقنية أسهمت في نقل الفن من سياق النخبة إلى سياق الثقافة الشعبية.

وقد أسهمت خاصية التكرار وسهولة إنتاج النسخ في تعزيز دور الطباعة كوسيط جماهيري، مما أتاح وصول العمل الفني إلى فئات واسعة من المجتمع خارج إطار العرض التقليدي (Sabour, 2021).

رابعًا: البعد الجمالي بين الخط واللون:

يمثل الاختلاف بين الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية اختلافًا جوهريًا في اللغة البصرية، حيث تعتمد تقنية الحفر على الخط والملمس كعناصر أساسية في بناء الصورة، في حين تعتمد الشاشة الحريرية على اللون والمساحة.

ففي الحفر، يُعد الخط عنصرًا بنيويًا، يعكس الحركة والعمق والتفاصيل، بينما في الشاشة الحريرية، يُستبدل الخط غالبًا بالمساحات اللونية الواضحة، مما يؤدي إلى تبسيط التكوين البصري (Gascoigne, 2004, 89).

ويشير هذا الاختلاف إلى تحول في طبيعة الإدراك البصري، حيث تتطلب الأعمال القائمة على الخط قراءة تحليلية تدريجية، في حين تعتمد الأعمال القائمة على اللون على الإدراك المباشر، وهو ما تؤكده دراسات الثقافة البصرية (Drucker, 2005, 121؛ Gascoigne, 2004, 89).

خامسًا: التحول من التفرد إلى التكرار (البعد الثقافي):

يمثل الانتقال من الحفر إلى الطباعة بالشاشة الحريرية تحولًا في مفهوم العمل الفني، حيث انتقلت الطباعة من كونها ممارسة فردية إلى وسيط جماهيري.

وقد تناول Walter Benjaminهذه القضية في تحليله الشهير، حيث أشار إلى أن الاستنساخ الميكانيكي يؤدي إلى فقدان "هالة" العمل الفني المرتبطة بالأصالة والتفرد (Benjamin, 1968, 221).

ويعزز هذا الطرح ما تشير إليه دراسات الطباعة الفنية من أن إمكانية إنتاج نسخ متعددة وسهولة توزيعها جعلت الطباعة من أكثر الفنون ارتباطًا بالجمهور، حيث أسهمت في نقل العمل الفني خارج نطاق النخبة إلى المجال العام (Sabour, 2021).

وفي هذا السياق، يمكن فهم الحفر بوصفه تقنية تعزز الأصالة، في حين تمثل الشاشة الحريرية نموذجًا للفن القابل للتكرار والانتشار، وهو ما يعكس تحولات أعمق في الثقافة البصرية المعاصرة كما أن قابلية التكرار في الطباعة لا تعني بالضرورة فقدان القيمة الفنية، بل تعكس تحولًا في وظيفة الفن، حيث أصبح وسيلة للتواصل البصري ونقل الرسائل إلى جمهور واسع.

سادسًا: مدخل مقارن بين التقنيتين:

من خلال ما سبق، يمكن تحديد الفروق النظرية بين التقنيتين كما يلي:

1. الحفر: تقنية غائرة – تعتمد على الخط – تعكس الفردية
2. الشاشة الحريرية: تقنية سطحية – تعتمد على اللون – تعكس الجماهيرية

ويؤكد هذا التباين أن التقنية ليست مجرد وسيلة تنفيذ، بل عنصر أساسي في تشكيل المعنى البصري والثقافي للعمل الفني.

التحليل المقارن بين الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية:

أولًا: البنية التقنية وإنتاج الأثر الطباعي

تُظهر المقارنة بين تقنيتي الحفر(Etching) والطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing) اختلافًا جوهريًا في البنية التقنية، حيث تنتمي الأولى إلى الطباعة الغائرة(Intaglio)، بينما تنتمي الثانية إلى الطباعة السطحية القائمة على القالب(Stencil) ويعكس هذا الاختلاف تحولًا في مفهوم السطح الطباعي ذاته، من كونه سطحًا محفورًا يحتفظ بالحبر داخل أخاديده، إلى سطح ناقل للحبر عبر وسيط شبكي.

في تقنية الحفر، يتم تثبيت الحبر داخل الخطوط المحفورة نتيجة التفاعل الكيميائي مع الحمض، ثم يُنقل إلى الورق عبر ضغط عالٍ، مما يمنح الصورة عمقًا ماديًا واضحًا وثراءً ملمسيًا (Griffiths, 1996, 52; Stijnman, 2012, 87) في المقابل، تعتمد الطباعة بالشاشة الحريرية على تمرير الحبر فوق السطح، مما يؤدي إلى تكوين طبقات لونية مسطحة ومتجانسة، دون وجود عمق مادي داخل السطح (Grabowski & Fick, 2017, 118).

وتؤكد الدراسات المعاصرة أن هذا الاختلاف لا يمثل مجرد تباين تقني، بل يعكس تحولًا في مفهوم "الأثر الطباعي" نفسه، حيث يتحول من أثر محفور مرتبط بالمادة إلى أثر بصري قائم على السطح والانتشار اللوني (Noyce, 2016, 64).

ثانيًا: اللغة البصرية بين الخط واللون

ينتج عن الاختلاف التقني اختلاف جذري في اللغة البصرية، حيث تعتمد تقنية الحفر على الخط بوصفه عنصرًا بنيويًا، في حين تعتمد الطباعة بالشاشة الحريرية على اللون والمساحة.

في الحفر، تتشكل الصورة من خلال شبكة دقيقة من الخطوط التي تحمل التدرج والعمق، والإيقاع البصري، مما يمنح العمل طابعًا تحليليًا وتأمليًا (Hayter, 1962, 18). بينما في الطباعة بالشاشة الحريرية، يتم بناء الصورة عبر مساحات لونية واضحة، غالبًا ما تكون منفصلة ومحددة الحواف، مما يؤدي إلى تبسيط التكوين البصري (Gascoigne, 2004, 89).

وتشير Drucker (2005, 121) إلى أن التحول من الخط إلى اللون يعكس انتقالًا في بنية الإدراك البصري، حيث يتطلب الخط قراءة تدريجية وتحليلية، في حين يعتمد اللون على الإدراك الفوري. كما يؤكد هذا

الاختلاف في البنية البصـــرية طبيعة العلاقة بين المتلقي والعمل الفني، حيث تتحدد أنماط التلقي وفقًا لآليات الإدراك المرتبطة بالخط أو اللون(Mirzoeff, 2015, 102؛Drucker, 2005, 121).

ثالثًا: البعد الجمالي بين التفرد والتكرار

يرتبط الاختلاف في اللغة البصـرية باختلاف في القيم الجمالية التي تنتجها كل تقنية. فالحفر، بما يحمله من أثر يدوي واضـح، يعزز حضـور الفنان داخل العمل، ويمنح كل نسـخة طابعًا شبه فريد، حتى ضـمن النسـخ المتعددة (Griffiths, 1996, 60).

ويعود ذلك إلى طبيعة المعالجة اليدوية للســـطح الطباعي في تقنيات الحفر، حيث تظهر آثار الحفر والتدرج بشكل مباشر، مما يمنح العمل طابعًا فرديًا يصعب تكراره بشكل متطابق تمامًا (Stijnman, 2012) .

في المقابل، تعتمد الطباعة بالشـاشـة الحريرية على التكرار بوصـفه مبدأ جماليًا، حيث يتم إنتاج نسـخ متعددة متطابقة إلى حد كبير، وهو ما يؤدي إلى تقليل الفروق الفردية بين النســـخ (Tallman, 2017, 102). ويرتبط هذا التكرار بطبيعة التقنية التي تعتمد على القوالب والشـبكات، مما يسـمح بإعادة إنتاج الصـورة بنفس الخصائص البصرية في كل مرة، وهو ما يعزز مفهوم الإنتاج المتعدد.

وتشـير الدراسـات الحديثة إلى أن هذا التكرار لا يُعد نقصًـا في القيمة الفنية، بل يمثل تحولًا في مفهوم الجمال، من التفرد إلى التعدد (Noyce, 2016, 71). كما يرى Grabowski and Fick (2017, 135) أن الطباعة المعاصرة أعادت تعريف الجمالية بوصفها قائمة على الانتشار وإمكانية التكرار.

رابعًا: البعد الثقافي وتحولات وظيفة الطباعة

يعكس الاختلاف بين التقنيتين تحولًا أوســـع في الســـياق الثقافي للطباعة الفنية. فقد ارتبطت تقنية الحفر بالسـياق الأوروبي الكلاسـيكي، حيث كانت تُسـتخدم في إنتاج أعمال فنية تعكس مهارات الفنان الفردية، كما أسهمت في نقل المعرفة البصرية وتوثيق الصور (Ivins, 1953, 45).

في المقابل، ارتبطت الطباعة بالشـاشـة الحريرية بثقافة القرن العشـرين، حيث أصـبحت وسـيلة لإنتاج صـور جماهيرية مرتبطة بالإعلام والاستهلاك البصري، خاصة في سياق فن البوب. وقد تجسد ذلك في أعمال Andy Warholالتي اعتمدت على إعادة إنتاج الصور بشكل متكرر.

ويشـــير Walter Benjaminإلى أن هذا التحول يعكس انتقال الفن من "الطقســـية" إلى "القابلية للتداول"، حيث يؤدي الاستنساخ الميكانيكي إلى فقدان العمل الفني لفرادته المرتبطة بالأصالة (Benjamin, 1968, 221). كما تؤكد Drucker (2013, 56) أن الطباعة المعاصـــرة أصـــبحت جزءًا من منظومة الثقافة البصرية، وليست مجرد ممارسة فنية معزولة.

كما يعزز هذا التحول من ارتباط الطباعة بالمجال العام، حيث لم تعد مقتصرة على النخبة، بل أصبحت وسيلة للتواصل البصري ونقل الرسائل إلى جمهور واسع (Sabour, 2021).

خامسًا: التحول في مفهوم الأصالة

تُعد مسألة الأصالة من أهم المحاور التي تبرز من خلال المقارنة بين التقنيتين. ففي الحفر، تُبنى قيمة العمل الفني على أثر العملية اليدوية، مما يمنح كل نسخة طابعًا أصيلًا، حتى ضمن تعدد النسخ. أن الخط في الحفر لا يُرسم على السطح فقط، بل يُحفر فعليًا داخل اللوح المعدني، وهو ما يجعل أثر الأداة وحركة يد الفنان جزءًا ماديًا من بنية العمل الفني نفسه، وليس مجرد نتيجة بصري(Hind, 1923).

أما في الطباعة بالشاشة الحريرية، فإن العمل الفني يُصمم منذ البداية ليكون قابلًا للتكرار، مما يغير من مفهوم الأصل ذاته.

ويشير Benjamin (1968, 223) إلى أن قابلية العمل الفني للاستنساخ تؤدي إلى إعادة تعريف الأصالة، بحيث لم تعد مرتبطة بالتفرد، بل بقدرة العمل على الانتشار. كما تؤكد Tallman (2017, 110) أن الطباعة المعاصرة أعادت صياغة العلاقة بين الفنان والعمل والمتلقي.

وفي هذا السياق، يظل الحفر وسيطًا يحتفظ بخصوصية العلاقة بين الفنان والعمل، نظرًا لاعتماده على تدخل مباشر في تشكيل الخطوط داخل السطح المعدني، وهو ما يعزز الإحساس بالأصالة الفردية مقارنة بالتقنيات التي تقوم على النقل السطحي للحبر(Hind, 1923).

سادسًا: المقارنة من حيث المادية

تمثل المادية أحد أهم الفروق الجوهرية بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية، حيث ترتبط كل تقنية بعلاقة مختلفة مع المادة والسطح.

في الحفر، يتعامل الفنان مع سطح معدني صلب (نحاس أو زنك)، يخضع لعمليات كيميائية عبر الأحماض، مما يجعل الأثر الطباعي ناتجًا عن تدخل مباشر في بنية المادة نفسها، وبالتالي يحمل العمل الفني أثرًا ماديًا واضحًا يعكس عملية الإنتاج (Stijnman, 2012, 92). في المقابل، تعتمد الطباعة بالشاشة الحريرية على نقل الحبر عبر وسيط شبكي دون تغيير بنية السطح، مما يؤدي إلى فصل نسبي بين الصورة والمادة (Grabowski & Fick, 2017, 120).

وتشير الأدبيات الحديثة إلى أن هذا التحول يمثل انتقالًا من "مادية الصورة" إلى "سطحيتها"، حيث تصبح الصورة أكثر ارتباطًا بالتمثيل البصري من ارتباطها بالمادة (Drucker, 2013, 63; Paul, 2015, 27).

سابعًا: المقارنة من حيث الزمن والإنتاج

تختلف التقنيتان بشكل واضح في علاقتها بالزمن الإنتاجي، حيث تتسم تقنية الحفر بكونها عملية زمنية ممتدة تتطلب مراحل متعددة، مما يعكس ارتباطها بالبطء والتأمل(Hayter, 1962, 25).

ويرتبط هذا الامتداد الزمني بتعدد مراحل العمل في الطباعة الغائرة، بدءًا من إعداد اللوح والحفر، وصولًا إلى الطباعة، وهو ما يجعل العملية أكثر تعقيدًا مقارنة بالتقنيات الحديثة (Stijnman, 2012).

في المقابل، تتيح الطباعة بالشاشة الحريرية إنتاج عدد كبير من النسخ خلال فترة زمنية قصيرة، مما يجعلها مرتبطة بإيقاع الإنتاج السريع، وهو ما يتماشى مع متطلبات الثقافة البصرية المعاصرة (Grabowski & Fick, 2017, 140; Noyce, 2016, 75).

وتؤكد الدراسات الحديثة أن هذا التحول يعكس تغيرًا في علاقة الفن بالزمن، حيث لم يعد العمل الفني مرتبطًا بزمن إنتاجه بقدر ارتباطه بزمن تداوله وانتشاره(Paul, 2015, 31).

كما يعكس هذا التغير انتقال الطباعة من ممارسة تعتمد على الزمن الطويل والإنتاج المحدود إلى وسيط يتماشى مع سرعة تداول الصورة في العصر الحديث(Sabour, 2021).

ثامنًا: المقارنة من حيث دور الفنان

يختلف دور الفنان بين التقنيتين من حيث درجة التدخل المباشر في عملية الإنتاج. ففي الحفر، يكون الفنان حاضرًا في جميع مراحل العمل، مما يجعل العمل امتدادًا لفعله اليدوي(Griffiths, 1996, 62).

ويظهر هذا الحضور من خلال المعالجة المباشرة للسطح الطباعي، حيث تظل آثار الحفر والتدرج دالة على تدخل الفنان الفردي في تشكيل العمل (Stijnman, 2012).

أما في الطباعة بالشاشة الحريرية، فيمكن فصل التصميم عن التنفيذ، حيث يمكن إنتاج العمل باستخدام تقنيات شبه صناعية أو ضمن فريق عمل، مما يقلل من حضور الفردية في العمل الفني.

وقد ارتبط هذا التحول بالممارسات الفنية المعاصرة، حيث تحول الفنان من منتج مباشر إلى مُنظم للعمل البصري، وهو ما يتجلى في أعمال .Andy Warhol وتشير Mirzoeff (2015, 89) إلى أن هذا التحول يعكس تغيرًا في مفهوم الإنتاج الفني ضمن الثقافة البصرية.

كما يعكس هذا التحول انتقالًا في دور الفنان من الحرفي المنفذ إلى المبدع المفاهيمي الذي يركز على الفكرة وتنظيم الإنتاج أكثر من التنفيذ اليدوي المباشر(Sabour, 2021).

تاسعًا: المقارنة من حيث التلقي

يؤثر الاختلاف التقني في طبيعة التلقي البصري للعمل الفني. فالحفر، بما يتسم به من تفاصيل دقيقة، يتطلب مشاهدة قريبة وتحليلًا بصريًا، مما يجعله موجّهًا إلى جمهور يمتلك خبرة بصرية(Ivins, 1953, 48). ويرتبط ذلك بطبيعة الخطوط الدقيقة والتدرجات التي تتطلب قراءة بصرية تدريجية لفهم تفاصيل العمل (Stijnman, 2012). ويتفق ذلك مع ما يشير إليه (Hind, 1923)، حيث يبرز أن طبيعة الخط المحفور، بما يحمله من دقة وتعقيد، تفرض على المتلقي نوعًا من الفحص البصري القريب لفهم تداخل الخطوط وتأثيراتها الدقيقة. في المقابل، تعتمد الطباعة بالشاشة الحريرية على الوضوح البصري والبساطة، مما يجعلها قابلة للفهم السريع، وبالتالي أكثر انتشارًا بين جمهور واسع حيث تسهم المساحات اللونية الواضحة في تسهيل الإدراك المباشر للعمل الفني دون الحاجة إلى تحليل بصري معقد. إلى أن تقنيات الطباعة التي تعتمد على الخط الدقيق والتفاصيل، مثل الحفر، كانت تتطلب مستوى أعلى من الانتباه البصري مقارنة بالصور الأكثر اختزالًا، وهو ما يعزز الطابع التأملي في تلقيها (Hind, 1923).

وتؤكد الدراسات المعاصرة أن هذا التحول يعكس انتقالًا من التلقي النخبوي إلى التلقي الجماهيري، حيث أصبح العمل الفني جزءًا من المشهد البصري اليومي (Mirzoeff, 2015, 102; Elkins, 2012, 54).

عاشرًا: المقارنة من حيث التداول والقيمة الفنية(Circulation & Value)

ترتبط كل تقنية بنظام مختلف في تداول العمل الفني وقيمته. ففي الحفر، تُنتج الأعمال غالبًا في نسخ محدودة ومرقمة، مما يحافظ على ندرتها وقيمتها السوقية.

أما في الطباعة بالشاشة الحريرية، فإن قابلية الإنتاج الواسع تؤدي إلى انتشار العمل، مما يغير من مفهوم القيمة، حيث تصبح مرتبطة بمدى التداول وليس الندرة.

ويشير Walter Benjamin إلى أن هذا التحول يعكس انتقالًا من القيمة المرتبطة بالأصالة إلى القيمة المرتبطة بالتداول (Benjamin, 1968, 224). كما تؤكد Paul (2015, 35) أن الوسائط المعاصرة أعادت تعريف القيمة الفنية ضمن سياق الانتشار.

وفي هذا الإطار، يمكن فهم الحفر كوسيط يجمع بين خاصية التكرار وحدود الندرة، حيث تظل القيمة مرتبطة بعدد النسخ الممكن استخراجها من اللوح وجودتها، وهو ما يميزها عن تقنيات الإنتاج الواسع (Hind, 1923).

تكشف المقارنة بين تقنيتي الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية عن تحولات متعددة المستويات تشمل البنية التقنية، واللغة البصرية، والقيم الجمالية، والسياق الثقافي. ولا يقتصر هذا التحول على اختلاف الوسيط، بل يعكس انتقالًا في مفهوم العمل الفني ذاته، من التفرد المرتبط بالأثر المادي إلى التكرار المرتبط بالانتشار البصري، مما يؤكد أن التقنية تمثل عاملًا حاسمًا في تشكيل المعنى الفني ضمن سياقاته التاريخية والثقافية. وتؤكد هذه النتائج أن الطباعة الفنية لم تعد مجرد وسيلة إنتاج، بل أصبحت وسيطًا بصريًا يعكس تحولات الثقافة المعاصرة، ويجسد العلاقة بين التقنية والمعنى ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي (Sabour, 2021).

جدول (1)

التحليل المقارن الشامل

م	البعد التحليلي	الطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing)	الحفر (Etching)
1	التصنيف التقني	طباعة سطحية (Stencil)	طباعة غائرة (Intaglio)
2	السطح الطباعي	سطح شبكي (Screen)	سطح معدني محفور (نحاس/زنك)
3	آلية الحبر	فوق السطح عبر الشبكة	داخل الأخاديد المحفورة
4	المادية (Materiality)	نقل سطحي للحبر دون تغيير بنية السطح	تدخل مباشر في بنية المادة (حفر كيميائي)
5	طبيعة الأثر الطباعي	أثر مسطح بصري	أثر عميق ملمسي
6	العنصر البصري الأساسي	اللون	الخط
7	البنية التشكيلية	مساحات لونية واضحة ومسطحة	خطوط وتدرجات دقيقة
8	الإدراك البصري	إدراك مباشر وفوري	إدراك تحليلي تدريجي
9	الطابع الجمالي	تبسيطي – نمطي	تعبيري – تفصيلي
10	العلاقة بالزمن	إنتاج سريع – متكرر	إنتاج بطيء – تأملي
11	طبيعة الإنتاج	واسع – قابل للتكرار والإنتاج الجماهيري	محدود – يعتمد على الجهد الفردي
12	دور الفنان	إمكانية فصل التصميم عن التنفيذ	حضور مباشر لليد والمهارة
13	العلاقة بالمتلقي	قابل للفهم السريع والانتشار	يتطلب تأملًا بصريًا عميقًا
14	السياق الثقافي	فن معاصر – جماهيري	فن تقليدي – نخبوي
15	مفهوم الأصالة	قائم على التكرار والانتشار	قائم على الأثر الفردي
16	التداول والقيمة	قيمة قائمة على الانتشار	قيمة قائمة على الندرة
17	الوظيفة البصرية	إعلامية – استهلاكية	توثيقية – تحليلية
18	العلاقة بالمادة	استقلال نسبي للصورة عن السطح	ارتباط وثيق بالمادة والسطح
19	المرجعية الفنية	فن البوب والثقافة البصرية الحديثة	فنون كلاسيكية

تُظهر نتائج هذا البحث أن الطباعة الفنية تمثل وسيطًا بصريًا ديناميكيًا يعكس التحولات التقنية والثقافية التي شهدها الفن عبر العصور، حيث لا تقتصر أهمية التقنية على كونها أداة تنفيذ، بل تمتد لتشمل دورها في تشكيل البنية الجمالية والمعنى البصري للعمل الفني.

وقد كشفت الدراسة المقارنة بين تقنيتي الحفر (Etching) والطباعة بالشاشة الحريرية (Screen Printing) عن اختلافات جوهرية على مستويات متعددة، شملت البنية التقنية، واللغة البصرية، والقيم الجمالية، والسياق الثقافي، وطبيعة الإنتاج والتلقي. إذ تمثل تقنية الحفر نموذجًا للفن القائم على الدقة والمهارة الفردية، حيث يرتبط العمل الفني بالأثر المادي المباشر لليد الفنان، مما يعزز مفهوم الأصالة والتفرد. في المقابل، تعكس الطباعة بالشاشة الحريرية تحولات الفن المعاصر نحو التكرار والإنتاج الجماهيري، حيث تصبح الصورة أكثر ارتباطًا بالانتشار والتداول.

كما بيّنت الدراسة أن التحولات التقنية في الطباعة الفنية لم تؤدِ فقط إلى تغيير في أساليب التنفيذ، بل أسهمت في إعادة صياغة مفهوم العمل الفني ذاته، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الأصالة وإمكانية الاستنساخ، وهو ما يتقاطع مع التحولات الأوسع في الثقافة البصرية المعاصرة.

وعليه، يمكن النظر إلى الطباعة الفنية بوصفها مجالًا يعكس التفاعل بين التقنية والفكر، حيث تُعد كل تقنية إطارًا بصريًا يحمل دلالات ثقافية وجمالية تتجاوز حدود الشكل إلى بناء المعنى.

النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. تؤثر البنية التقنية لكل من الحفر والطباعة بالشاشة الحريرية بشكل مباشر في طبيعة الصورة البصرية، حيث ينتج عن الحفر عمق خطي وملمسي، في حين تنتج الشاشة الحريرية مساحات لونية مسطحة .
2. يعتمد الحفر على الخط كعنصر بنيوي أساسي، بينما تعتمد الطباعة بالشاشة الحريرية على اللون والمساحة، مما يؤدي إلى اختلاف في اللغة البصرية بين التقنيتين .
3. ترتبط تقنية الحفر بالقيم الجمالية المرتبطة بالتفرد والأصالة، في حين ترتبط الطباعة بالشاشة الحريرية بجمالية التكرار والإنتاج المتعدد .
4. يعكس الاختلاف بين التقنيتين تحولًا في دور الفنان، من فاعل مباشر في العملية الإنتاجية إلى منظم أو مُوجّه للعمل البصري في بعض الممارسات المعاصرة .
5. تختلف طبيعة التلقي بين التقنيتين، حيث تتطلب أعمال الحفر تأملًا بصريًا، بينما تعتمد أعمال الشاشة الحريرية على الإدراك المباشر والسريع .
6. أسهمت الطباعة بالشاشة الحريرية في توسيع نطاق تداول العمل الفني، مما أدى إلى تغير في مفهوم القيمة الفنية من الندرة إلى الانتشار .
7. تعكس المقارنة بين التقنيتين تحولًا أوسع في الثقافة البصرية، من الإنتاج الفردي إلى الإنتاج الجماهيري .
8. تمثل التقنية عاملًا حاسمًا في تشكيل المعنى الفني، وليس مجرد وسيلة تنفيذ .

التوصيات:

يوصي البحث بما يأتي:

1. إجراء دراسات مقارنة إضافية بين تقنيات طباعية أخرى، مثل الليثوغراف والطباعة الرقمية، لتعميق فهم التحولات التقنية في الطباعة الفنية .
2. توسيع نطاق الدراسات التي تربط بين التقنية والسياق الثقافي، خاصة في الفنون المعاصرة .
3. اعتماد مناهج تحليلية متعددة (بصرية، ثقافية، فلسفية) في دراسة الطباعة الفنية .
4. تشجيع الفنانين على استكشاف إمكانات الدمج بين التقنيات التقليدية والمعاصرة، بما يثري التجربة البصرية .
5. توظيف الطباعة الفنية كوسيط تعبيري في مجالات متعددة، مثل: التصميم، والإعلام البصري، والفن المعاصر .
6. تعزيز الوعي بدور التقنية في تشكيل المعنى الفني لدى الممارسين والطلاب .

7. تطوير مناهج تعليم الطباعة الفنية لتشمل البعد المقارن بين التقنيات، وليس الاكتفاء بالجانب التطبيقي .

8. إدراج مفاهيم مثل الأصالة والتكرار والثقافة البصرية ضمن مقررات الطباعة الفنية.

المراجع:

Benjamin, W. (1968). *The work of art in the age of mechanical reproduction*. In H. Arendt (Ed.), *Illuminations* (217–251). Schocken Books.

Drucker, J. (2005). *The visible word: Experimental typography and modern art*. University of Chicago Press.

Drucker, J. (2013). *Graphic design history: A critical guide*. Pearson.

Elkins, J. (2012). *What is interesting writing in art history?* University of Chicago Press.

Gascoigne, B. (2004). *How to identify prints: A complete guide to manual and mechanical processes*. Thames & Hudson.

Grabowski, B., & Fick, B. (2017). *Printmaking: A complete guide to materials and processes* (Rev. ed.). John Wiley & Sons.

Griffiths, A. (1996). *Prints and printmaking: An introduction to history and techniques*. University of California Press.

Hayter, S. W. (1962). *New ways of gravure*. Oxford University Press.

Hind, A. M. (1923). *A history of engraving and etching: From the 15th century to the year 1914*. Houghton Mifflin Company.

Ivins, W. M. (1953). *Prints and visual communication*. MIT Press.

Lengwiler, T. (2013). *A history of screen printing: How an art evolved into an industry*. ST Media Group

Mirzoeff, N. (2015). *How to see the world*. Pelican.

Noyce, R. (2016). *Printmaking at the edge*. Bloomsbury.

Paul, C. (2015). *Digital art* (3rd ed.). Thames & Hudson.

Ross, J., Romano, C., & Ross, T. (2018). *The complete printmaker* (2nd ed.). Free Press.

Sabour, A. (2021). *Printmaking as a visual communication medium*. **مجلة العمارة والفنون، 6**,(27) 715 -728.

Stijnman, A. (2012). *Engraving and etching 1400–2000: A history of the development of manual intaglio printmaking processes*. Archetype Publications.

Tallman, S. (2017). *The contemporary print: From pre-pop to postmodern*. Thames & Hudson.